

حوارات

❖ الكلام الجديد تأسيس لفاسفة المستقبل:

الدكتور حسن حنفي

❖ آصالة الكلام وتهافت الفاسفة:

الشيخ إبراهيم الأنصاري

الكلام الجديد... تأسيس لفلسفة المستقبل

د. حسن حنفي

يظل فكرنا المعاصر وفهمنا الراهن فاعلاً وحيّاً بمقدار ما تخضعه للمراجعة المُجَهَّة والمحاكمة على ضوء المستجدات الفكرية الطارئة التي تساعده على إثارة كل ما هو كامن في عمق التراث الإسلامي من بنور الفلسفة والكلام، وبالتالي محاولة استنباتها وachsenabها على تربة الواقع الراهن.

وفي هذا المجال يغدو الحوار والمساءلة ضرورة تسمح لنا بتجاوز الإبهام الحاصل في العلاقة بين مختلف العلوم الفاعلة، والأهمية التي تحظى بها الفلسفة والدين في الطريق إلى صياغة رؤية أكثر وضوحاً للتراث الإسلامي كان لقاونا هنا مع الدكتور حسن حنفي، الذي أكد أن ما يشهده الفكر العربي المعاصر، لا يعلو كونه كلاماً جديداً وهو قد يكون مقدماً لمرحلة فلسفية تأتي لاحقاً.

• دكتور حنفي بداية، نود أن نسألكم، عن الفرق بين الفلسفة وعلم الكلام؟ وكيف تقرأون الفلسفة المعاصرة؟ وهل هناك حقيقة فلسفية إسلامية معاصرة؟ ■ الفلسفة الإسلامية المعاصرة جزء من العلوم النقلية - العقلية الأربع، والتي تشمل علم الكلام، والفلسفة، وعلم الأصول، بالإضافة إلى التصوف الذي يدخل تحت نفس العنوان؛ لأنّه يحتوي في طياته علم الاشراق الذي يمتد من السهروردي إلى الملا صدرا، والتي تجمع العقل والذوق، فالفلسفة الإسلامية جزء من تراث الأقدمين، ومن اجتهد القدماء.

وأرى أن الفلسفة نمت في العالم الإسلامي نتيجة الإزدواجية الثقافية، فكما نعلم أن

كل ثقافة تبدأ بعملية نمو داخلي، ثم تصطدم هذه العملية بالوافد الخارجي، الأمر الذي يحدث ازدواجية ثقافية، مما يدفع إلى التفكير الفلسفى، وهذا ما حصل عندنا، فعلم الكلام قد نشأ في العالم الإسلامي من داخل الدين، عندما عمل المسلمون على فهم النصوص الدينية وتأويلها، ظهرت مع هذه العملية بدايات التفكير، ظهرت بعض المصطلحات كالإيمان، والكفر، والفسق والعصيان. وهذه الأمور قد تعمقت نتيجة اختلاف المسلمين فيما بينهم، الأمر الذي أدى إلى نشوء أسئلة، فمن هو الكافر؟ ومن هو العاصي؟ ومن هو على حق؟ ومن هو على باطل؟ وكيف ينصبون الإمام؟ وهذا الواقع لا يحتاج إلى يونان أو روما ولا إلى فارس ولا هند.

لكن في الوقت الذي بدأت فيه الترجمة من اليونانية إلى العربية، وقيام ابن مسكويه بترجمة بعض الأعمال من الفارسية إلى العربية، حصل في العالم الإسلامي ازدواجية فكرية بين حضارة وافدة وحضارة نمت في داخل العالم الإسلامي؛ مما أدى إلى محاولة المتكلمين التصدي لهذا الغزو الخارجي، فبدأ الصراع بين الكلام والوافد، وعند هذه النقطة يظهر دور الفيلسوف الذي ينشق من الكلام، ويحاول الحرص على وحدة ثقافة الأمة، فيعمل على الجمع بين الفلسفة والكلام، فالكندي كان متكلماً قبل أن يكون فيلسوفاً، وكذلك الفارابي وصولاً إلى ابن رشد.

والسؤال الذي يتadar إلى الذهن، ما هي مسؤولية الفيلسوف بالحقيقة على الفيلسوف أن ينظر إلى محتوى كلا الثقافتين، ويسأل نفسه بعض الأسئلة، هل أن الثقافتين متواافقتان، أم هما مختلفتان متعارضتان؟ فلو كانت الثقافتان متفقتين في جوهر التصور كفى الله المؤمنين شر القتال؛ لأن ما تقوله الحضارة الأولى هو نفس ما تقوله الحضارة الوافدة. وفي التجربة الإسلامية الأولى، وجد المسلمون أن اليونان لديهم نفس المعطيات الفكرية الموجودة في العالم العربي، فهم يقولون أن الله موجود، والنفس خالدة تحاسب طبقاً للأعمال التي يقوم بها الإنسان، فأخذوا بمعطيات تلك الحضارة، واعتبروا أن هناك محاباة بين العقليتين والحضارتين، وأن اختيار أي منهما سيؤدي إلى نفس النتائج، فالحضارتان متماثلتان سواء التزمت إحداهما بالنبوة

كل ثقافة تبدأ بعملية نمو داخلي، ثم تصطدم هذه العملية بالوافد الخارجي، الأمر الذي يحدث ازدواجية ثقافية، مما يدفع إلى التفكير الفلسفى، وهذا ما حصل عندنا، فعلم الكلام قد نشأ في العالم الإسلامي من داخل الدين، عندما عمل المسلمون على فهم النصوص الدينية وتأويلها، ظهرت مع هذه العملية بدايات التفكير، ظهرت بعض المصطلحات كالإيمان، والكفر، والفسق والعصيان. وهذه الأمور قد تعمقت نتيجة اختلاف المسلمين فيما بينهم، الأمر الذي أدى إلى نشوء أسئلة، فمن هو الكافر؟ ومن هو العاصي؟ ومن هو على حق؟ ومن هو على باطل؟ وكيف ينصبون الإمام؟ وهذا الواقع لا يحتاج إلى يونان أو روما ولا إلى فارس ولا هند.

لكن في الوقت الذي بدأت فيه الترجمة من اليونانية إلى العربية، وقيام ابن مسكويه بترجمة بعض الأعمال من الفارسية إلى العربية، حصل في العالم الإسلامي ازدواجية فكرية بين حضارة وافدة وحضارة نمت في داخل العالم الإسلامي؛ مما أدى إلى محاولة المتكلمين التصدي لهذا الغزو الخارجي، فبدأ الصراع بين الكلام والوافد، وعند هذه النقطة يظهر دور الفيلسوف الذي ينشق من الكلام، ويحاول الحرص على وحدة ثقافة الأمة، فيعمل على الجمع بين الفلسفة والكلام، فالكندي كان متكلماً قبل أن يكون فيليسوفاً، وكذلك الفارابي وصولاً إلى ابن رشد.

والسؤال الذي يتadar إلى الذهن، ما هي مسؤولية الفيلسوف بالحقيقة على الفيلسوف أن ينظر إلى محتوى كلا الثقافتين، ويسأل نفسه بعض الأسئلة، هل أن الثقافتين متواافقتان، أم هما مختلفتان متعارضتان؟ فلو كانت الثقافتان متفقتين في جوهر التصور كفى الله المؤمنين شر القتال؛ لأن ما تقوله الحضارة الأولى هو نفس ما تقوله الحضارة الوافدة. وفي التجربة الإسلامية الأولى، وجد المسلمون أن اليونان لديهم نفس المعطيات الفكرية الموجودة في العالم العربي، فهم يقولون أن الله موجود، والنفس خالدة تحاسب طبقاً للأعمال التي يقوم بها الإنسان، فأخذوا بمعطيات تلك الحضارة، واعتبروا أن هناك محاباة بين العقليتين والحضارتين، وأن اختيار أي منهما سيؤدي إلى نفس النتائج، فالحضارتان متماثلتان سواء التزمت إحداهما بالنبوة

والأخرى بالعقل والوحى متحدان. فالفلاسفة إذاً نتيجة نظرتهم التوحيدية أخذوا بهذه التجربة اليونانية على أساس أن اليونان تأخذ بالعقل، والعقل أساس النقل في الإسلام، فالشريعة الإسلامية هي شريعة عقلية، وهذا ما تظهره النصوص القرآنية، والتي تدعوا إلى البرهان «قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين» البقرة/١١١، وسنعالج الآن الفرق بين الفلسفه والمتكلمين.

أولاً: عمل الفلسفه على اللغة فأخذوا ألفاظ الحديث اليوناني الذي انتشر وذاع، وأخذوا يستعملونه باتجاه آخر للتعبير به عن مضمون إسلامي قادم من الموروث القديم؛ مثلاً فتحن نقول الله الذي له صفاته وأفعاله، وعند اليونان ورد المحرك الأول والعلة الأولى والصورة المحضة، فأخذ الفيلسوف يستعيير اللفظ اليوناني دون معناه، ويضع فيه المعنى الإسلامي دون لفظه، وعلى هذا الأساس أصبح الله عند ابن سينا المحرك الأول والصورة المحضة والعلة الأولى، ولنأخذ مثلاً توضيحاً عن كيفية هذا الاستعمال؛ عندما يستعمل ابن سينا العلة الأولى فهو يقصد العلة الخالقة، وهذا الأمر يختلف عمّا ورد عند اليونان؛ لأن العلة ليست خالقة لديهم، فالعالم قديم عند أرسطو، والمادة قديمة عند أفالاطون، والله هو الذي أعطاها الشكل. إذاً عمل الفلسفه يتلخص في إعداد نوع جديد من المعرفة، جديد في ألفاظه، قديم في مضمونه. وهذا الإتجاه ووجه من قبل الفقهاء الذين وقفوا ضد هذا المنزع الفكري، خذ مثلاً ابن حزم، فهو يعتبر أن لفظ الذات ليس قرآنياً، فالذات إذا جاءت بمعنى الجوهر لا يمكن اعتبارها قرآنية، وإن كان هناك بعض الآيات التي وردت فيه كلفظ، مثل (ذات الأكمام) (ذات العصف) وإنطلاقاً من هذه النقطة هاجم ابن حزم الفلسفه.

ثانياً، الكلام يعتمد على النقل كثيراً، فهو يعتمد على الآيات الكريمة والأحاديث، وهذا الأمر يعتبره الفلسفه يقلل من قيمة العقل، فالعقل مستقل برأيها، لذلك قلل الفلسفه من الحجج النقلية وأكثرت من العقلية، خذ الشفاء لابن سينا تجد الحجج العقلية فيها قليلة جداً، ولو أخذت «مناهج الأدلة» أو كتاب «اللمع» في علم الكلام، «والإبانة» للأشعري لوجدت أن كلا منها تعتمد على الأدلة النقلية.

ثالثاً، في النهج الكلامي المحاججة أساساً، والحقيقة معروفة مسبقاً، فهو يستهدف الاحتجاج على الخصوم والانتصار عليهم، وهو يعتمد على مقدمات الفرض منها المجادلة والانتصار، وهذا ما نجده في ردود الإسلاميين على الشاوية والمانوية والمسيحية واليهودية... فالكلام دفاع وحجج، وهذا ما أقره الغزالى في كتابه: «المنقد من الضلال»؛ حين اعتبر الكلام علم الدفاع عن الإسلام ضد التيارات المشوهة والمشبوهة. أما الفلسفة كمنهجية تعتمد على البرهان، الفيلسوف يبحث على الحقيقة ولا يعرفها مسبقاً، وهو يشبه بمناهجه ما ورد في بعض الآيات التي وصفت طريقة استدلال النبي إبراهيم عليه السلام، إذ سأله ربِّه ألم تؤمن؟ فقال بلـى ولكن ليطمئن قلبي، فمنهاج إبراهيم استدلالي، فهو انطلق من السؤال عن الله، ثم أخذ يقوم ببعض المقاربات لكي يصل إلى الحقيقة، فتساءل هل الله هو القمر أو النجم أو الشمس؟! ربما قوة تفوق الشمس حتى استقر في نهاية الأمر على معرفة حقيقة عن الله. هذا النهج الذي استخدمه النبي إبراهيم هو النهج البرهاني الذي يستخدمه الفلاسفة، ويستخدمه بعض المتكلمين، ولكن الفلسفة اعتمدت على البرهان، والعقل، والتنظيم، وقدرة العقل للوصول إلى حقائق الأشياء.

رابعاً، إن الفلسفـة قسمـوا الحكمة إلى منطق وطبيعـيات والإلهـيات. المنطق لدراسة كيفية تفكير العقل، والطبيعـيات لما يبـدو لنا، والإلهـيات لما يتجاوز الطبيـعة، المـتكلم لا يحتاج إلى منطق؛ لأنـه لا يـحكمـه فيـ الحـقـيقـة، فهوـ لـديـه سـؤـالـ عنـ العـلـمـ، ماـ هوـ العـلـمـ؟ كـيفـ يـتعلـقـ بالـحوـاسـ؟ وـهـذـا السـؤـالـ يـعادـلـ المـنـطـقـ، كـماـ أـنـ الـكـلامـ عـنـ المـنـطـقـيـنـ مـوـجـودـ، وـالـطـبـيـعـيـاتـ مـوـجـودـةـ مـنـ خـلـالـ الـاستـدـلـالـ بـهـاـ لـلـبـرـهـانـ عـلـىـ وـجـودـ اللهـ، وـلـكـنـ المـتـكـلـمـينـ بـيـقـونـ فـيـ حـالـةـ اـخـتـلـافـ عـنـ الـفـلـاسـفـةـ إـذـ قـسـمـتـهـمـ ثـلـاثـيـةـ، هـنـاكـ الـعـقـلـيـاتـ وـالـإـلـهـيـاتـ نـظـرـيـةـ الذـاتـ وـالـصـفـاتـ، وـهـنـاكـ السـمـعـيـاتـ النـبـوـةـ وـالـمـعـادـ وـالـإـيمـانـ وـالـعـمـلـ وـالـإـمامـةـ. أـمـاـ عـنـ الـفـلـاسـفـةـ فـالـقـسـمـةـ ثـلـاثـيـةـ: الـمـنـطـقـ وـالـطـبـيـعـيـاتـ وـالـإـلـهـيـاتـ. وـأـخـيـراـ الـفـلـاسـفـةـ لـكـلـ عـصـرـ يـوجـدـ فـيـهـ اـزـدواـجـيـةـ ثـقـافـيـةـ، وـهـذـاـ الـأـمـرـ نـعيـشـ فـيـهـ؛ وـلـكـنـ لـيـسـ مـعـ الـيـونـانـ إـنـماـ مـعـ الـغـربـ الـحـدـيـثـ الـذـيـ يـوجـدـ فـيـهـ دـيـكارـتـ وـكـنـطـ وـهـيـغلـ، وـلـكـنـ هـذـهـ الشـائـيـاتـ، لـمـ تـتـنـجـ بـعـدـ

حالة من التصدي، وبالتالي لم تنتج شخصاً مثل الكندي والفارابي وابن رشد، لكي يأخذوا الألفاظ المستحدثة التي تبلورت ويسوغونها إسلامياً حتى لا ينبهر بها الناس، وبالتالي يستخدمونها في التعبير عن الألفاظ الرئيسية التي اتفق عليها الفلاسفة والمتكلمون حول وجود الله والنفس... فمعظم المشتغلين بالفلسفة حالياً في العالم الإسلامي، يقرأون هذه الأفكار كما يفعل الراسد للأمر الذي يجعل الأمر أشبه بالغزو الثقافي.

• دكتور حنفي هل نستطيع أن نتحدث عن مسيرة واضحة للفلسفة الإسلامية المعاصرة؟

■ عندما نقول معاصرة، نتحدث عن القرن التاسع عشر والقرن الماضي، وهذا القرن الذي نعيش فيه، وفي الحقيقة لم تنشأ طوال هذه الفترة فلسفة إسلامية بعد. وهنا أحب أن نتوقف للمقارنة بين النهضة الإسلامية الأولى والنهضة الثانية، ففي الأولى كنا منتصرين وجيوشنا فاتحة من الأندلس إلى فرنسا، وبالتالي لم يكن عندنا في تلك الفترة قضايا كبيرة، فلم يكن لدينا قضية تحرير الأمة وتحرير الوطن وتحرير الأرض. أما اليوم فلدينا الكثير من تلك القضايا، فنحن نعتمد على الغرب في كل شيء في السلاح والكساء والغذاء... وفي هذه الأجواء جاء جمال الدين الأفغاني، ومحمد اقبال، فوجدوا هذه الواقع، فالآمة في حال يرثى لها، وبالتالي لم يكن هناك مجال لاعمال العقل الفلسفى. وبطبيعة الحال بحث هؤلاء عن عملية اصلاح المجتمع، فعندما يكون المنزل يحترق لا بد من اطفاء النار أولاً، وهذا ما يقوله الغزالى، إذا وجدت أن هناك ثعباناً في جبتي فهل أتفاسف وأقول ما لونها وما شكلها؟! وما مضمونها؟! ما طولها؟! وما عرضها؟! أو أخرجها أولاً من الجبّة حتى لا تقتلي؟ بالطبع على آخرتها أولاً.

إنطلاقاً من هذه النقطة بدأت عملية الدعوة للإصلاح، أي كيف يمكن للإسلام أن يقاوم الاستعمار في الخارج؟ وما زلنا في هذا المضمار فلسطين ما زالت محظلة وكذلك كشمير وسبتمبر ومليلة... عندما تكون الآمة في حال صراع، لا تنشأ فلسفة، إنما تنشأ حركات تحرر وطني

وجهادي، كما الحال في جنوب لبنان وفلسطين، فمعظم الأفكار وبالتالي ستتردد بين النهضة والتحرير.

• قلتم قبل قليل، أن الفلسفة تنشأ من الازدواجية الثقافية، هذه الازدواجية، وجدت منذ بداية عصر النهضة، فلماذا لم تنتج فلسفة؟

■ بالفعل بدأت الازدواجية الثقافية تنشأ، من اللحظة التي بدأنا فيها عملية الترجمة منذ القرن التاسع عشر، ولكن لم تنشأ فلسفة إنما نشأ مفكرون كالطهطاوي، وخير الدين التونسي، مفكرون يزاوجون بين ثقافتين، ويجدون عناصر اتفاق أكثر من عناصر اختلاف، فالطهطاوي يعتبر مثلاً أن مونتسكيو تكلم في روح القوانين كما تكلم المعتزلة، إذ تكلم عن روح القوانين هذه الروح التي تشبه الحسن والقبع العقليين، هذه النظرة لا تخالها نظرة فلسفية؛ لأن أصل الفكرة لديه لم يكن محض فلسي، فهو استهدف من خلال دوره كمناضل أن يبني الدولة، دولة محمد علي، وكذلك فعل خير الدين التونسي الذي أراد بناء الدولة التونسية.

فالمفكرون منذ عصر النهضة أرادوا بناء الدولة، وبالتالي لم يكن لديهم الهم النظري الذي كان عند الكندي والفارابي، اللذين نشأوا في بيئه مختلفة لم يكن بناء الدولة من أولويات المفكر، فالدولة في ذلك العصر حاضرة بقوة، فيها بغداد... فهؤلاء عاشوا زمن الانتصارات، بينما المفكر المعاصر على العكس من ذلك، فبداية التعامل مع الغرب كان يجري على أرضية إيجاد عناصر الاتفاق معه والمتمثلة بعصر التوبيخ؛ والتي لها مفرداتها الخاصة كالعقل والإنسان خلق الأعمال أي الحرية والطبيعة والتقدم والمساواة الاجتماعية، وهذه الأمور ما زلنا فيها.

وإن كنت أنظر إلى الموضوع بهذا الشكل لكن لدي سؤال هل بالضرورة أن يكون لدينا نفس التقسيمات السابقة للفلسفة؟ وإذا كان الأقدمون قسموا الفلسفة إلى منطق وطبيعيات وإلهيات، فأنا أسأل أين الإنسان؟ فإذا كان الإنسان مقسماً إلى جزأين: أحدهما النفس والآخر البدن، نجد الأول في الإلهيات والثاني في الطبيعيات. ولكن الإنسان في الحقيقة غائب، فلا يوجد في الإسلام إنسانيات واجتماعيات وسياسيات

وتاريخيات، أنا حاولت أن أجده عناصر لهذه المواد في الجزء السابع من كتابي «من النقل إلى الإبداع» الذي صدر حديثاً. ولكن مهمتنا الآن أن نستمر في إنشاء فلسفة التعامل مع الغرب، فمثلاً يجب أن نستعمل ألفاظ الغرب في منظومتنا الفكرية، وأنا أستخدم مثلاً كثيراً هذه الألفاظ، فأقول الامتحاهي والامحدود، الحركة، الزمان وأضعها لتعريف بعض مفاهيم الإسلام. الكثير يقول إنني غربي، وهذا غير صحيح أنا أستعمل فقط الألفاظ الغربية من أجل التعبير عن الموروث الإسلامي، ومن ثم أنا أقدم للجيل اللاحق، للأسف جامعاتنا جعلت مهمتها التعليم وأهملت الإبداع، ينقلون عن القدماء وعن الغرب ولكن لا يجعلون الطالب في قلب المعركة، وأن يعتبر الإنسان نفسه جزءاً من التطور الحضاري، فهذا أمر مرفوض لديها، فتحن علينا أنفسنا مهتمسين باسم الحضارة باسم الموضوعية... وهذا منهج استشرافي؛ لأنه ليس من أبناء البلد ولا بهمه التطوير. أما نحن فيهمنا هذا الموضوع، ولكننا وبدلاً من السعي إليهأخذنا موقف المتفرج، ونعيّب على القدماء تأخرنا والعيب فينا، فتحن دائماً نضع الكرة في ملعبهم بينما الكرة في الحقيقة في ملعبنا نحن.

• هل هذا القول، يقود إلى أن ليس هناك فلسفة إسلامية معاصرة، وبالتالي ما نحياته هو في الحقيقة كلام جديد؟ وهذا الكلام يحاول أن يقدم لفلسفة ما في المستقبل؟
■ علم الكلام أصيل في حياتنا، فهو علم أصول الدين، وهو مورد إبداع المسلمين، وبالتالي منذ كتاب التوحيد لمحمد عبدة، جرت محاولة لإعادة بناء الكلام، فأهمية كتاب التوحيد أنه بين أن علم الكلام علم تاريخي صرف، نشأ من الأحداث بين الخوارج والشيعة والمعزلة والسنّة وبالتالي فهو ليس علمًا مقدساً، فهو علم التاريخ، فكما نرى أنه تاريخ الفكر السياسي، وهذا الأمر يتطلب تغيير علم الكلام مع تغير الأحداث التاريخية، ومنذ أرنست رينان أخذ الغرب يعيّب علينا أنها متخلفون وجاهلون، فبدأ الرد عليهم؛ وظهرت أولى معاالم الرد مع الأفغاني، وتابعه محمد عبدة لا سيما في الجزء الأخير من كتاب التوحيد؛ حيث عالج عبدة فيه بعض النقاط، لماذا تقدم المسلمين؟ لماذا انتشر الإسلام في العالم بسرعة؟ هل الوحي ممكن؟

وإذا كانت وظيفة المتكلم الرد على التهم فما وجّهه الغرب إلى الإسلام هو تهمة، فالمستشرقون قالوا أننا لا نستطيع أن نجاري الغرب في التقدم، وأثاروا موضوع العقل حيث عالجوه من خلال ما استقر عليه في حياتنا من خلال انتصار الأشاعرة. هذا الانتصار الذي ابتدأ مع ما أثاره الغزالى في القرن الخامس من أفكار لم تكن في الحقيقة إلا كردة فعل من إنسان أحـس بقرب قدم الصليبيين واستشعر أن الأمة ستكون بخطر نتيجة الفرقـة التي تعيش بها، فقال أن الأشـعـرـية هي عـقـيـدةـ الأـمـةـ،ـ والـفـقـهـ الشـافـعـيـ هوـ فـقـهـهاـ،ـ وـكـفـرـ كلـ الفـرـقـ الـبـاطـنـيـ،ـ وـأـعـطـىـ الـحـاـكـمـ اـيـدـيـوـلـوـجـيـةـ السـلـطـةـ فيـ «ـالـاقـتـصـادـ فـيـ الـاعـتـقـادـ»ـ،ـ وـأـعـطـىـ الـمـحـكـومـ اـيـدـيـوـلـوـجـيـةـ الطـاعـةـ فيـ «ـإـحـيـاءـ عـلـمـ الدـيـنـ»ـ.

محمد عبده تجرأ على نقد هذا الكلام، وتحول هو نفسه من الأشـعـرـيةـ إلىـ الـاعـتـزـالـ ربما ليس اـعـتـزـالـاـ كـلـياـ؛ـ لأنـهـ بـقـىـ أـشـعـرـياـ بـالـتـوـحـيدـ،ـ لـكـنـهـ فـيـ الـعـدـلـ وـالـعـقـلـ وـالـحرـيـةـ أـصـبـحـ مـعـتـزـلـيـاـ وـاقـتـرـبـ مـنـ الـمـاتـرـيـدـيـةـ،ـ وـحاـولـ الرـدـ عـلـىـ هـؤـلـاءـ الـمـسـتـشـرـقـيـنـ مـنـ خـلـالـ صـيـاغـةـ عـلـمـ كـلـامـ جـدـيدـ كـمـاـ يـفـعـلـ عـدـدـ مـنـ الـأـشـخـاصـ فـيـ وـقـتـاـ الـحـالـيـ.

وـأـنـاـ حـالـيـاـ أـتـابـعـ مـاـ بـدـأـ بـهـ عـبـدـهـ مـنـ خـلـالـ الـكـتـبـ الـتـيـ أـصـدـرـتـهـاـ وـهـذـاـ الـأـمـرـ دـفـعـ الـبـعـضـ إـلـىـ إـتـهـامـيـ بـأـنـنـيـ إـرـهـابـيـ،ـ وـمـتـخـلـفـ،ـ وـمـخـتـلـ،ـ وـخـرـافـيـ،ـ فـهـمـ لـاـ يـدـرـكـوـنـ أـنـ مـحـاـولـتـيـ هـيـ فـيـ الـحـقـيقـةـ كـلـامـيـةـ فـاـنـاـ أـخـذـتـ عـلـمـ الـكـلـامـ الـقـدـيمـ وـأـعـيـدـ قـرـاءـتـهـ مـنـ مـنـظـورـ التـخـلـفـ،ـ وـالتـحـرـرـ،ـ وـالـاسـتـعـمـارـ،ـ وـالـوـحـدـةـ،ـ وـالـهـوـيـةـ...ـ بـالـتـالـيـ نـحـنـ فـيـ الـجـمـعـيـةـ الـفـلـسـفـيـةـ الـمـصـرـيـةـ أـنـشـأـنـاـ نـدوـةـ سـنـوـيـةـ عـنـ عـلـمـ الـكـلـامـ جـدـيدـ،ـ وـبـحـثـاـ فـيـهـ كـيـفـيـةـ تـصـورـ اللـهـ الـيـوـمـ،ـ وـكـيـفـيـةـ تـصـورـ الـإـنـسـانـ،ـ وـالـطـبـيـعـةـ،ـ وـالـمـعـادـ.

... فـمـثـلاـ فـلـسـطـينـ مـحـتـلـةـ الـيـوـمـ،ـ وـالـصـهـيـونـيـةـ،ـ تـدـعـيـ أـنـ اللـهـ أـعـطـاهـاـ هـذـهـ الـأـرـضـ،ـ وـهـمـ يـقـولـونـ لـيـ،ـ نـحـنـ مـرـتـبـطـوـنـ بـهـذـاـ الـوـعـدـ الإـلـهـيـ وـالـمـتـمـثـلـ فـيـ الـعـلـاـقـةـ الـتـيـ تـجـمـعـ اللـهـ وـالـأـرـضـ.ـ وـهـمـ فـيـ سـبـيلـ تـشـبـيـتـ نـظـرـتـهـمـ أـوـجـدـوـاـ لـاهـوتـاـ جـديـداـ فـيـ الـغـرـبـ تـحـتـ عـنـوانـ الـعـلـاـقـةـ بـيـنـ اللـهـ وـالـأـرـضـ.ـ وـهـمـ لـاـ يـكـفـفـونـ بـذـلـكـ بلـ يـحـاـولـونـ أـنـ يـثـبـتوـنـاـ مـنـ خـلـالـ مـنـظـومـتـاـ الـدـيـنـيـةـ أـنـ الـأـرـضـ لـيـسـ جـزـءـاـ مـنـ تـرـاثـاـ الـدـيـنـيـ،ـ فـتـحـنـ بـرـأـيـهـمـ نـسـتـطـيعـ أـنـ نـعـبدـ اللـهـ مـنـ أـيـ مـكـانـ نـشـاءـ؛ـ لـأـنـ اللـهـ عـنـنـاـ لـاـ يـنـحـصـرـ فـيـ زـمـانـ أوـ مـكـانـ،ـ بـيـنـمـاـ هـمـ لـاـ

يستطيعون أن يعبدوا الله إلا على هذه الأرض؛ وبالتالي وردًا على هذه الادعاءات لا بد من إعادة بناء منظومتي الفكرية، ولا أقف متفرجاً أو متحدثاً عن الله والصفات، بينما في الحقيقة عليّ أن أعيد قراءة النص وأبحث عن أمر يحفزني للدفاع عن الأرض، وأجعلها وبالتالي جزءاً من منظوماتي الفلسفية، فأعود إلى القرآن، فأجد أن الأرض مذكورة فيها (رب السماوات والأرض) (هو في السماء إليه وعلى الأرض إله)، فأنطلق من هذه النقطة لأقول أن الأرض هي قضيتي، فمن أخذ أرضي كأنه أخذ سمائي، فهذا الخطاب الكلامي الجديد ينشئ مواضيع أكثر معاصرة، ومن الممكن أن توسع إلى إطار آخر، فقد قمت بدراسة الألوان من خلال القرآن وتحديث عن اللون الأخضر والأصفر، لكي أحفظ الناس على الزراعة.

الكلام الجديد علم ضروري، خاصة لأن الظروف قد تغيرت فمن الانتصار وصلنا إلى الهزيمة، ومن صناع للحضارة تحولنا إلى تلاميذ لحضارات أخرى، وهذا يحفز إلى إنشاء علم جديد آخذناً بعين الاعتبار الظروف التي نعيشها اليوم مقدمة لإنشاء فلسفة إسلامية فيما بعد. فعلم الكلام هو أول خطوة بإتجاه الفلسفة، فنحن الآن نضع مداميك، وفيما بعد لو شعرنا أن هناك ازدواجية حادة في الثقافة كما شعر القدماء، فنحن سنعمل على التغيير، صحيح أن لدينا الآن في مصر خلافاً حاداً بين الأزهريين والجامعيين، بين العمة والطريوش، بين الشيخ والأفندي، لكن لم نصل إلى صراع فكري بين العلمانية والسلفية، لكن لم نصل إلى صراع فكري جدي؛ لأن كل واحد من التيارات الموجودة يكفر الآخر، فعلم الكلام الجديد، علم ضروري، ولكنه ما زال يواجه برفض عميق من قبل التقليديين، الذين يعتبرونه ولد مع الأشعري، واستكمел مع الباقلاني، وهؤلاء يحجزون العقل، وهل أنا أقل من الأشعري والباقلاني؟!

• هذا الموضوع يقود إلى التساؤل، هل أن بنية الفلسفة الإسلامية المعاصرة مختلفة عن مثيلتها الغربية؟

■ صحيح، الفلسفة الغربية نشأت في بداية القرن السادس عشر، لكنها لم تحصل بشكل مفاجيء، فحركة مارتن لوثر قدمت لها، وهذه الشخصية الكبيرة قامت ابتداء من

القرن الخامس عشر بنقد الكنيسة، وأجرت مراجعة شاملة للمنظومة الدينية المسيحية عبر عملية نقد واسعة ضد اللغة اللاتينية الاستعمارية، فترجمت الكتاب المقدس إلى الألمانية، وانتقدت السلطان، وأعلنت حرية الإنسان، - هذه المرحلة نحن ما زلنا فيها من جمال الدين الأفغاني إلى علال الفاسي، صحيح أننا كبرنا، لكننا ما زلنا فيها -، وبعد أن قامت بدورها التحرري انتقلت من معركة الإصلاح في الدين إلى معركة إصلاح الحياة والمعرفة وعلاقة الإنسان بالطبيعة، فتم القضاء على النظريات البالية، حيث قضي على نظرية أرسطو حول الطبيعة، وأطيح بتلك النظريات التي تقول أن الأرض محور ومركز الكون، ولم يبق على أي نظرية مخالفة للعقل والتجربة. ومنذ تلك الفترة بدأت مرحلة عزة العلم والمعرفة، ومناهج المعرفة الإنسانية العقلية والتجريبية والاستباقية والاستقرائية. فالعقل مع الطبيعة ينتج العلم الطبيعي. والعقل مع المجتمع ينتج العلم الإنساني، وأن السلطة تنتج عن العقد الاجتماعي بين الناس.

إذاً تحرر الوجود الأوروبي من الدين والكنيسة ومن أرسطو وبطليموس والسلطة الحاكمة، دفعه إلى التساؤل ما البديل؟ من أين أتينا؟ ما مصدرنا؟ ما مستقبنا؟ ما مصيرنا؟ ماذا يجب عليّ أن أعرف؟ ماذا عليّ أن آمل؟ مع ديكارت نجد الأسئلة التالية: ما هي معارفي التي تعلمتها منذ الصغر؟ هل هذه المعارف يقينية؟ أما يجب أن أعرضها على العقل؟ أنا خاضع للأوهام، أوهام التقاليد، أوهام العادات، أوهام الناس، هل يجب عليّ أن أتحرر من هذه الأوهام؟ هذه الأسئلة المتعددة توضح بشكل قاطع أن الفلسفة في الغرب نشأت من خلال إصلاح الدين، وإعطاء الأولوية للحديث على القديم، عندنا الأمر مختلف، نحن لم نقطع مع القدماء، اقرأ أي خطاب تجد: قال الغزالى، قال الباقلانى، وإذا انتقدت أحداً منهم قامت الدنيا ولم تقعدين، الإصلاح الدينى الذى بدأ بشكل جيد مع الأفغاني، ... مع فشل الثورة العربية، وانتصار أتاتورك وعلمنة تركية، هذه الموضوعات التي أثارت حفيظة محمد رشيد رضا من التغيير ودفعته للارتداد نحو السلفية، التي أخذت تعمق شيئاً فشيئاً. فرشيد رضا أوجد حسن البناء، هذه الشخصية التي حاولت أن تكمل رؤية جمال الدين الأفغاني بإنشاء حزب سياسى للأمة ولكن

ظروفه وواقعه لم يسمح له في ذلك، فهو كان ملاحقاً من قبل الدولة العثمانية والفارسية، وكان كثير الترحال من باريس إلى لندن ففرنكفورت، ولكن البناء نفسه أوجد سيد قطب الذي انتقل إلى أقصى السلفية بعد الثورة المصرية والتعديب الذي تعرضوا له في سجون الثورة. هذه السلفية التي عبر عنها قطب في كتابه: «معالم في الطريق»، هذا الكتاب الذي تحول إلى ميثاق سارت عليه كل الأصوليات الراقصة والمكفرة لكل التيارات الماركسية، والليبرالية، واليسارية، والعلمانية، والناصرية.

دعني أذهب معك إلى فرق مركزي بين الفلسفة الإسلامية والغربية، فنحن بالحقيقة لم نطرح سؤال النهضة، فالحقائق عندنا ما زالت ثابتة ولا يشك بها أحد، الله موجود والعالم خلقه. وهذه المسألة في غاية الخطورة فما دامت هناك إجابات قطعية فلا أسئلة، وما دامت الأسئلة غائبة فلا تفاسير.

• هل أنت تشير إلى مشكلة في العقل الإسلامي؟

■ لا يوجد شيء اسمه عقل إسلامي أو مسيحي، أو يهودي، أو عربي، أو أوروبي، العقل هو قدرة إنسانية على التفكير، هو منة إلهية، لكن التراث هو أساس المشكلة، إذ الناس تتطلق من أساس خاطئ، فتعتبر التراث شيئاً مقدسًا، وهذا غير صحيح، وأنا هنا لا أتكلم عن القرآن والسنة، ولكنني أتكلم عن علم الكلام والفلسفة والتصوف، والأصول وغيرها من العلوم التي تعتبر من إبداع الرجال. وكما قيل أنهم رجال ونحن رجال، وكما قال الإمام علي عليه السلام: «هذا المصحف لا ينطق إنما تنطق به الرجال» فالرجال هم الذين ينطقون، وكما قال عمر: أقول لكم قال الله رسول الله وتقولون لي قال عمر وقال أبو بكر، هؤلاء بشر يصيرون ويخطئون. فما يقللنا أن القديم ما زال مسيطرًا، لذلك كل المصلحين كتبوا في أدلة الاجتهاد، واعتبروا التقليد ليس مصدرًا من مصادر العلم، فمصادر العلم الحواس والعقل، والرواية الصادقة، والمتواترة، والتقليد ليس منها، وكذلك الإلهام.

فالذي يمنعنا عن التقدم ليس العقل إنما التقليد، إنما متفرجون، فنحن لا نحسب أنفسنا خلفاء لهم، علينا أن نطور ونجدّد في فكرنا طبقاً لتغير الزمان والمكان، وهذا

نابع في جزء منه من مناهج التعليم لدينا؛ لأنها تقوم على التقليد، وربما السلطة السياسية مسؤولة عن ذلك، لأننا كلنا نطيع الخليفة، ومن يتجرأ على الخليفة كالشيطان الذي يتجرأ على الله، ويقول له خلقتني من نار وخلقته من طين، فأصبح المعترض في حياتنا السياسية والثقافية يخون ويُكفر... علينا أن ندرك أن ما تركه القدماء كان جيداً في عصرهم، هم اجتهدوا طبقاً لظروفهم، ونحن علينا أن نجتهد طبقاً لظروفنا، فإذا كانت الظروف قد تغيرت فعلينا بالتغيير.

• ما هي آليات التعامل مع الواقع ومع القرآن الكريم في هذه الحالة؟

■ آليات التعامل مع القرآن الكريم تحصر في كلمتين المنهج والرؤية، فالمنهج القرآني منهج مهم، وأنا أسمّي ذلك أولوية الواقع على الفكر، لدى دراسة عن الوحي على الواقع وأسباب النزول، توضح هذه الدراسة أن القرآن الكريم لا يتكلم والله لا يتكلم إلا بناء على ما يرى في العالم، الله قال في كتابه الكريم «قد نرى تقلب وجهك في السماء» البقرة/١٤٤، الأمر الذي يشير إلى أن المجتمع كان يبحث عن دين جديد في شبه الجزيرة العربية، وهذا الأمر ظهر بداية مع الشعراء الصعاليك، ثم الحركة التي عرفها المجتمع الجاهلي، والتي تمثلت برفض كل الاتجاهات والديانات السائدة، والبحث عن بديل جديد، فكان القرآن الذي جاء ليستجيب لسؤال الواقع، لذلك كثيراً ما نجد من الآيات التي تبدأ بـ«يسألونك مثل» «ويسألونك عن الأهلة» البقرة/١٨٩، «ويسألونك عن المحيض» البقرة/٢٢٢، «ويسألونك عن الخمر» البقرة/٢١٩، وكل الأسئلة لم تكن نظرية بل كانت عملية، ونستطيع أن نستنتج أن الواقع يسأل والوحي يجيب، فنحن نرى دائماً أولوية الواقع على الوحي.

فعلى الذي يريد أن يجدد الآن عليه أن يبحث عن الأسئلة التي يطرحها الواقع، وبالتالي عليه أن يجيب عن الأسئلة التالية يسألونك عن الاستعمار، عن الاحتلال عن التجزئة والتبغية والمقاومة.

فالقرآن الكريم، يحاول أن يقيم منهجاً، نستطيع أن نتلمسه في كل حركة تصدر منه، وفي أسباب النزول أولوية المكان، وفي الناسخ والمنسوخ أولوية الزمان، الزمان يتغير

والشريعة تتغير، فالزمان أولوية من أولويات التشريع، فيقول صلى الله عليه وسلم لا تؤدبوا أولادكم بآدابكم فقد خلقوا لزمان غير زمانكم، وانظر إلى مفهوم النسخ، فقد جاء آية «وَإِنْ تَبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تَخْفُوهُ يَحْاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ» البقرة/٢٨٤، فخاف المسلمون وذهبوا إلى رسول الله، وقالوا هلكنا يا رسول الله فنزلت الآية «لَا يَكُلفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وَسُعْهَا» البقرة/٢٨٦. انظر إلى الصيام فهو قد تطور، فقد كان الناس عند الافطار يبداؤن في الأكل ويقومون بالأمور الأخرى، ولكن متى ناموا انتهى الأمر وعليهم أن يكملوا صيامهم إلى وقت الافطار، فنزلت آية تنسخ طريقة الصيام الأولى، تقول الآية «أَحَلَ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرُّفُثُ إِلَى نِسَائِكُمْ» البقرة/١٨٧، والآن لك الحق في الافطار والحياة الزوجية من الغروب إلى الإمساك.

الزمان والتغيير عنصران أساسيان في الشريعة الإسلامية، وهذا الأمر يظهر أيضاً في نسخ الأحاديث، حيث نجد الكثير من الأحاديث التي تقول كنت قد قلت لكم والآن أقول. وهذه الأمور جميعها حصلت في فترة بسيطة تمتد على طول حياة النبي، فكيف سيكون الواقع عليه الآن بعد ١٤٠٠ سنة؟ لا أقول إننا سنتنسخ، ولكن هناك التخصيص، مثلاً هناك اعتراضات الآن على وضع النساء في الإسلام، أنا كفقيه آخذ ذلك بعين الاعتبار، انظر إلى القصة التالية: قالت عائشة لرسول الله كل ما ورد في القرآن يخص الرجال ألا يوجد شيء يخص النساء؟ فكانت سورة النساء... والقرآن أبدى اهتماماً خاصاً بالنساء لذلك هو يوجه كلامه بصيغتي المذكر والمؤنث مثل: والمؤمنون والمؤمنات... دعني أقل لك هناك الكثير من المفاهيم التي عفا عنها الزمان، مثل: مفهوم الفنية التي ورد ذكرها في الإسلام، إذا انتصرنا غداً على الإسرائييلين ماذا سنفعل بالدبابات والطائرات؟ هل سنوزعها على الناس؟ وماذا سنفعل بالإسرائييليات؟ هل سنأخذهم سبياً؟ وهل سنسترق الرجال؟... أين هم العبيد؟... أين هي دار الحرب ودار الإسلام؟ لا بد من مراجعة الكثير من الأشياء وتطبيق المنهج القرآني، الذي يقول بأولوية الزمان والمكان أي الواقع والتاريخ والتغيير.

أما بالنسبة للرؤبة، فهذه من دون شك واضحة في القرآن الكريم الذي وحد بين

البشر جمِيعاً من خلال المفاهيم التي طرحتها، فالله يوضح أنه خلقنا من نفس واحدة، وهذا ينافي ما نحن متهمون به من أننا لا نملك رؤية.

• هل هذا الكلام سيؤدي إلى تجميد بعض الأحكام القطعية، وبالتالي يصبح القرآن خاضعاً للواقع؟

■ القرآن يتبع الواقع، لذلك أبطل عمر حدّ قطع اليد في زمن الماجاعة... فعلينا أن نعرف أن أحكام التكليف كما أوردها الشاطبي خمسة هي الواجب، المندوب، المكروه، المحرم، المباح، ولكن أحكام الوضع من يعرفها؟ بمعنى أن الحكم ليس فقط افعل لا تفعل، ولكن هذا الحكم موجود في الواقع، فهو مشتق من وضع، يضع وضعًا، وهي تمثل في السبب، والشرط، والمانع، والعزيمة، والرخصة، والصحة، والبطلان. كل حكم شرعي عليه أن يخضع لهذه الشروط، فلا بد له أن يكون له سبب، ويتوقف على شرط لا تستطيع أن تأعقِب الصبي الصغير، فشرط العقل غير موجود؛ لأنَّ شرط التكليف، إذا كان هناك مانع يطبق الحكم، فالذي يصرخ من الجوع وسرق هل ينزل به الحد، ومن هو أجدر بالعقاب؟ الذي يسرق محفظة ليعيش ويعيل عائلته؟ أو ذلك الذي يسرق الأموال العامة؟ وأريد أن أسأل أين أموال النفط؟ أين الأموال العامة؟ ماذا عن التهريب؟ وأين الذين يسرقون الملايين والbillions؟ في هذا الزمن لا بد من أن يوجد «أبو ذر» ليسأل هؤلاء عن مصدر أموالهم. وفي الحقيقة إنَّ أغنى أغنياء العالم هنا ويتمثل في أحد السلاطين على إحدى الجزر، كما أن أفقير الفقراء هنا، إن في هذه الحالة أتمنى أن أكون أول السارقين لإعادة توزيع الدخل بشكل عادل، أنا أسمح لك أن تقطع يدي لكن أوضح لي أين حقي من مال المسلمين، حقي في الملبس والمأكل والشرب والتعليم، حقي في أن أكون على مستوى الآخرين.

• هل هذا الكلام مؤدٍ أن على المفكِّر أن يعيش الواقع؟

■ بطبيعة الحال، وهذا بشكل خاص من وظيفة الفقيه، الذي يتعامل مع النوازل كما يقول المغاربة، هذه الوظيفة في مجتمعاتنا قد تعرضت لأزمة نتيجة ما يسمى بالفقه الافتراضي؛ مثل تلك القضية الفقهية التي أثاروها إذا تزوج رجل دجاجة هل يحق له أن

يأكل بيضها؟ وهذا الفقه الافتراضي أدى إلى كارثة لأن وظيفة الفقيهأخذ معطيات الزمان والمكان من أجل إصدار حكم شرعي طبقاً للقدرة الإنسانية.

• دكتور حنفي تحدثتم عن تحويل الوحي إلى ايديولوجيا هل ما زلتم على هذا

الرأي؟

■ نعم، وهذا جزء من علم الكلام الجديد، فأنا أعيش زمن الايديولوجيات، لا تس أني من أبناء الخمسينات والستينات، هذه الفترة التي كان الناس منقسمين بين رأسمالية واشتراكية، وكل طرف كان يطرح مشروعًا خاصاً به، فنظرت إلى الإسلام، وسألت ماذا يمكن أن أجيب على شخص جاء ليطرح عليّ سؤالاً عن رؤية الإسلام للصناعة والزراعة... حتى أجبهـ الإيديولوجيات الحديثة كان لا بد أن أطرح ايديولوجيا مقابلة ساعتئذ إذا طرح عليّ أحدهم سؤالاً عن ايديولوجيتي أستطيع أن أجبيهـ.

• البعض يقول أنك تتبع مدرسة عبد الرزاق وأنت تصنف نفسك باليسار الإسلامي،

أين هو موقعك بالتحديد؟

■ إن لدى عدة شخصيات، فأنا الأستاذ الأكاديمي والمثقف العربي وأنا المواطن، لذلك أكتب في شخصياتي المتعددة، فاكتب الدراسات الرصينة والمتمثلة بالرسائل العلمية عن مناهج التأويل، وظاهرات التأويل، وتأويل الظاهرات، والترجمات التي قمت بها وفي كتاب «من العقيدة إلى الثورة»، واكتب كمثقف عربي الذي يحضر الندوات العلمية والمحاضرات، والمشاركة في الفكر العربي، ولا أقول الفلسفة العربية؛ لأن الفلسفة لم تولد بعد، وأخيراً أخاطب العامة وأشعر بالمسؤولية تجاههم، فلا يجوز لي أن أتركهم بين أيدي المشايخ هنا وهناك، فأنا أحسب حساب الآخرة، فإذا سألني اللهـ ماذا فعلت للجامعة؟ أعرف ماذا سأجيب، وإذا سألني ماذا فعلت للمثقفـ؟ سأقول لهـ شاركت في المؤتمرات، ولكن كان لدى خوف من أن لا أعرف الإجابة عن سؤال العامة، ولكن الآن هذا الموضوع واضح لدى فأنا كتبت الدين والثورة وأخاطب في المساجدـ يا صديقي أنا لدى ثلاثة شخصيات والناس تخطئـ عندما تقوم بتصنيفي في واحدة فحسبـ، فأنا خطيب في الشارعـ، وأكاديمي في الجامعةـ، ومفكر في المؤتمراتـ.

فيما يتعلق بموقعي الفكري، أنا في عصر ازدادت فيه الثقافة، وازدوجت التيارات، وانقسم الناس إلى سلفيين وعلمانيين، إلى محافظين وإصلاحيين، وأنا كفليسوف أجمع بين القديم والحديث، في القديم والحديث، في من التراث والثورة، في من النقل، وفي من الابداع، في من الإسلام والثورة، فأحاول أن أعطي روح الأفغاني، من هو الأفغاني؟ هل هو سلفي؟ لا هو ثوري. الإسلاميون يأخذون إسلامياتي، ويتركون اجتماعية، ويعتبروني يسارياً متخفيأً. واليسار يأخذون اجتماعية ويتركون إسلامياتي ويقولون عن إسلامي متخفٍ، والحكومة لا تعرف شيئاً، يجدون دراسات في إسلاميات فيعتبروني إسلامي - أخواني، ويجدون اجتماعية فيعتبرونني يساري، ووضعوا في ملفي في النهاية إسلامي - شيوعي، فكل طرف يأخذ نصفي ويترك نصفي الآخر، لذلك اخترت اسم اليسار الإسلامي لأصف الحالة التي أمتها.

على صعيد مسيرتي الفلسفية، فأنا تخرجت بالفعل من مدرسة مصطفى عبد الرزاق التي تقول أن علم الأصول هو العلم الذي أبدع فيه المسلمون، مع العلم أن علم الأصول لم يكن جزءاً من دراستنا الجامعية حيث كنا نكتفي بالكلام والفلسفة والتصوف. ولكن عندما ذهبت إلى فرنسا، كنت متأثراً بسيد قطب الأول (أي الماركسي) والأفغاني ومحمد عبد واقبال. وهناك تكلمت مع المستشرقين كوريان وماسينيون و.. وهناك تعرفت إلى ماسينيون بشكل كبير، وعرضت عليه فكرة إنشاء منهج إسلامي للتقسيير فقال لي تريدين أن تبني منهجاً وأنت ما زلت في الواحدة والعشرين من العمر؟! لماذا لا تبدأ بالدراسة ومن ثم عندما تصبح في السبعين اكتب المنهج الذي تشاء؟ وبالإضافة إلى ذلك فالشيخ مصطفى عبد الرزاق تحدث عن علم أصول الفقه، فلماذا لا تدرس علم أصول الفقه، فتطوره وتغيره؟ أبدأ بالفكر من الأسفل ولا تهبط إليه من الأعلى، ويكون هذا بدايات المنهج الإسلامي. وبالفعل أعطاني كتب الأصول التي في حوزته، وهذه الخطوة تابعها علي سامي النشار الذي كتب مناهج التفكير في الإسلام، وبدأ من علم أصول الدين، فرفض المنطق الأرسطي (ماجستير)، وهذا الأمر سأتابعه أنا في كتابي القادم «من النص إلى الواقع» محاولة لبناء علم الأصول ولكن هذا ليس

كل ما استفنته، وليسوا هم أساتذتي الوحديين، ففي الجامعة علمني د. عثمان أمين الذي ينتمي إلى المدرسة المثالية، هذه المدرسة المتأثرة بالتيار الإسلامي فأمين قد كتب عن محمد عبده وفيشته، وكتابي القادم أيضاً سيكون عن فيشته مع تطبيقه على الواقع العربي.

• بالنسبة إلى نظرتك إلى الفلسفة الإسلامية خاصة في الجمهورية الإسلامية؟

■ عندما قامت الثورة في إيران، أحسست بأن حلم حياتي قد تحقق، فراسلت الإمام الخميني وهناك رحباً بي وبقيت أسبوعين، وتعرفت إلى ابنة السيد أحمد، وعلى الشيخ علي التسخيري. وفي تلك الزيارة كنت أجتماع معه يومياً، ولكن مستشاريه كانوا يفضلون أن يجري الحوار مع المقربين معه وليس معه مباشرةً أما الآن فأنا أشارك في الحوار بين المحافظين والاصالحين، وأرى أنها من أهم الثورات في العالم، فيقال الثورة الفرنسية الثورة الأمريكية وهذا الإسلام أضاف ثورة جديدة؛ لذلك يتکالب عليها الغرب ونحن العرب نعاديها ونخشى منها ونضربها من الخلف.

• ماذا عن مستوى النقاشات؟

■ النقاشات التي تجري في إيران متطورة، ويشهد لها العالم، وعلى الرغم مما يظهر من توتر أرى أنها هامشية، وأدعوا الله أن يحمي هذه الثورة، فهي أظهرت أن الإسلام ليس أقل أهمية ثقافية من الحضارة الغربية، لذلك أرى أن كل الهجمة التي تشن علينا الآن لم تكن نتيجة ١١ سبتمبر، إنما لأن الولايات المتحدة قد انتهت من عدوها القديم، وكان لا بد من أن تطمئن أن العالم سيصبح لها، والإسلام هو الذي يشكل هذا التحدي؛ لأن الإسلام ما زال حياً وقدراً على التحدي، فإذا كان من احتمال قطب ثان فلا بد من أن يخرج من هذه المنطقة.